بسم الله الرحمن الرحيم

مناهج البحث في الموضوع والمصطلح القرآني
نقد وتأصيل

مقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الشارقة –الإمارات العربية المتحدة
24–25/نيسان/2010م

تأليف

الدكتور/إقبال بن عبد الرحمن إبداح

أستاذ التفسير المساعد

بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

كلية الآداب والعلوم /ينبع

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علينا القرآن للتدبر ,لأن التدبر مما لا يصلح حال المتلقي إلا به, فغدا التدبر واجبا شرعيا على قاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب([1]) , فكان القرآن بيانا للناس وتفصيلا لكل شيء من أمر الدين والدنيا , فغدا منهلا للعلماء لا يشبعون منه ومعينا لا يسأمون الري منه , وموردا لا ينضب على كثرة الرد والعود, (فمن قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم).([2])

والصلاة والسلام على النبي الكريم الذي خاطبه ربه عز وجل بقوله :

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة النحل : الاية :44, فكان بيانه عليه الصلاة والسلام جامعا لأصل القدوة تطبيقا وتنزيلا على واقع الحياة مقرونا بالإقناع والبيان لما استشكل على الناس أو استفتي فيه عليه الصلاة والسلام, وفاء لواجب التبليغ عن رب العزة .

ولما كان القرآن الكريم منهاج الأمة ودستورها فلا غرو أن يكون هذا الكتاب الكريم أكثر كتاب عرفته البشرية يحظى بهذا لقدر من العناية والدرس والتأمل والتدبر والتفسير على اختلاف المتلقين بمناهجهم وألوانهم وألسنتهم , فسار المتدبرون والدارسون والمفسرون له على طرائق شتى ; فكانت لدينا أنواع التفسير : اللغوي والعقدي والأثري و العقلي و الرمزي الاشاري و الصوفي و العلمي والأدبي وغيرها .

وفي الغالب الأعم فقد سلك المفسرون طريقة تكاد تكون واحدة من خلال تناول القرآن آية آية أو القبس من الآيات , فيما أنصب تركيز بعضهم على نوع من الآيات يبحر فيها المفسر رغبة منه في الوفاء بحقها قدر وسعه وطاقته البشرية أو ثمرة لانعكاس ثقافته الشخصية واهتماماته على النص المفسر .

وفي العصر الحديث برز إلى الوجود منهج جديد في التفسير –لا تزال ملامحه في طور التشكل – هو التفسير الموضوعي , ويعد هذا النوع الجديد بحق ثورة في عالم التفسير من حيث الشكل والمضمون في طرائق التفسير التقليدي , فمن حيث الشكل لا يقوم المنهج على تفسير

---

[1]):علي بن محمد بن علي البعلي ابو الحسن :المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام احمد :تحقيق : د.محمد مظهر بق: جامعة الملك عبد العزيز : مكة المكرمة :62

[2]): أخرجه الترمذي في سننه :كتاب فضائل القرآن : باب ما جاء في فضل القرآن :حديث رقم 3153: وقال ابو عيسى :هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول .

القرآن حسب ترتيبه المصحفي تحليليا كما هو ديدن أهل التفسير ,كما أنه يتفرد ببحث موضوع قرآني ,يشبعه دراسة وتدبرا وصولا إلى تصور منهجي شامل في قضية أو مسألة معينة .

وقد غدا هذا العلم عظيم الأهمية غزير الفائدة لأنه كالاختصاص في لغة الأكاديميين , فهو يسلط مزيدا من الضوء والعناية ,ويركز الاهتمام في الحيثيات و المعطيات وسياقات الموضوع وكل ما يتصل به وصولا إلى موضوع قرآني مكتمل الأطراف واضح المعالم جلي الرؤية بعيدا عن التداخل والضبابية والإجمال , سيما أن التفسير الموضوعي غدا في الوقت الحاضر ذا أهمية خاصة كونه من أفضل السبل والوسائل القادرة على تقديم التصور القرآني لقضايا العصر والساعة ; لأنه تناول معمق وشامل يأتي بعد دراسة مستفيضة وتدبر مستنير لأبعاد القضايا بعيدا عن السطحية والتجزئة , ملامسا التفاصيل منطلقا من النص القرآني مستحضرا للمشكلات والمسائل المهمات في أمور الدين والدنيا .

وتأسيسا على ما تقدم فأن التفسير بشكل عام والتفسير الموضوعي بشكل خاص يستحق الوصف بأشراف العلوم ;لأن شرف العلم بشرف المعلوم ([1]) , فإذا كانت العلوم الدنيوية تنال بعض الشرف من قدرتها على الإسهام في حل مشكلات الحياة و هذا شرف ذاتي ,وإن كان التفسير عامة يحتل الدرجة الرفيعة في سلم الشرف لموضوعه المتصل بخدمة كتاب الله تعالى , فإن التفسير الموضوعي يحظى بكل تأكيد بالشرف الذاتي والموضوعي لشرف الصلة بكلام الله تعالى ولشرف قدرته على تقديم التصورات التطبيقية لحل مشكلات وقضايا و مسائل الحياة بتفوق منهجي وبهدي إلهية .

تعريف عنوان البحث :مناهج البحث في الموضوع والمصطلح القرآني –نقد وتأصيل –

سأعرف المنهج والبحث ثم نخلص إلى تعريف مناهج البحث , يلي ذلك تعريف الموضوع والقرآن لنصل إلى تعريف الموضوع القرآني وأخيرا نعرف المصطلح لنتمكن من الوقوف على معنى المصطلح القرآني ,ختاما اعرف النقد والتأصيل :–

أولا: تعريف مناهج البحث :

المنهج وأهميته :جاء في لسان العرب ([2]):نهج : طريق نهج بين واضح .وأنهج الطريق :وضح واستبان , وصار نهجا واضحا بينا .

---

[1]): ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير 3/1 ,

[2]):ابن منظور : لسان العرب :تصحيح أمين عبد الوهاب و زميله محمد العبيدي :دار إحياء التراث العربي :ط 3: 1999م:فصل النون / نهج

والمنهاج : الطريق الواضح , ونهجت الطريق : ابنته وأوضحته وسلكته

وقال الراغب الأصفهاني (1): المنهج الطريق الواضح , ونهج الأمر و أنهج :وضح ,ومنهج الطريق و منهاجه قال الله تعالى:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾سورةالمائدة :آية 48

وجاء في مختار الصحاح (2):نهج الطريق أبانه و أوضحه ونهجه –أيضا–سلكه , والمنهاج الطريق الواضح .

مما تقدم آنفا نخلص إلى أن كلمة منهج يدور معناها في اللغة حول :الطريق الواضح الموصل إلى غاية معينة, وهدف مقصود .

والمراد به هنا في هذا الاستخدام هو :الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته , حتى يصل إلى نتيجة معلومة (3)

أهمية المنهج :

من الحقائق الثابتة : أن ما يراد تغييره بكفاءة عالية لابد أن يكون عبر منهج علمي حاصر وضابط يحكم خطوات الإنسان في جميع مراحل الدورة الإنجازية للفعل المراد استبداله ,فهو الطريق الأمثل للإنسان في مساعدته على الاستثمار الأمثل لطاقته ووقته ,ويجنبه التيه والفوضى والتذبذب , ومنه وحده تحدد المقاصد والأهداف , وتخطط المراحل وتختار الأدوات , وتنتقى الوسائل والأساليب وفق خطط مدروسة , ونظام دقيق , وحسابات قائمة على فهم لسنن الهداية , ودراية بالواقع المراد تغييره .(4)

تعريف البحث لغة :مصدر الفعل الماضي (بَحَثَ) ومعناه:تتبع,فتش,سأل,تحرى ,تقصى,حاول,طلب ,, وبهذا يكون معنى البحث هو :طلب وتقصي حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور , ويتطلب ذلك التنقيب والتفكير والتأمل , وصولا إلى شيء يريد الباحث الوصول إليه . وقيل :البحث هو: تتبع موضوع ما في مظانه وجمع معلوماته ثم سبرها بغية الوصول إلى غاية ما.(5)

---

[1])الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل ت503هـ:معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم :ضبطه :إبراهيم شمس الدين :دار الكتب العلمية : بيروت :لبنأن :ط1: 1997م:562

[2]): الرازي :الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح :دار الفكر العربي: بيروت: 297

[3]): ينظر :حسين عبد الحميد رشوان :العلم والبحث العلمي :دراسة في مناهج العلوم عند العرب :المكتب الجامعي : الإسكندرية :143 وينظر : منهج البحث العلمي عند العرب :جلال محمد عبد الحميد موسى :دار الكتاب اللبناني : بيروت:ط1: 1972م:273

[4]): أبو هزيم:د احمد فريد صالح:منهج القرآن في التدرج وأثره في التغيير :بحث محكم في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية : الكويت العدد70: 2007م:24

[5]): محمد مسعد ياقوت :مفهوم البحث العلمي :2007م: مدونة الكترونية شخصية على الانترنت

والبحث الذي نقصده هو البحث العلمي , وهو عملية فكرية منظمة يقوم بها شخص يسمى الباحث ,من اجل تقصي الحقائق في شأن مسألة أو مشكلة معينة تسمى موضوع البحث بإتباع طريقة علمية منظمة تسمى منهج البحث بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج أو إلى نتائج صالحة للتعميم على المشكلات المماثلة وتسمى نتائج البحث .

وبناء على ما تقدم :يكون منهج البحث هو: القانون أو المبدأ أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية وفي أي مجال ومناهج البحث متعددة ومتجددة إلا أنها تشترك جميعها بخطوات وقواعد تشكل الإطار الذي يسلكه الباحث في بحثه أو دراسته العلمية أو تقييمه العلمي لأي حقيقة علمية . (1)

ثانيا: تعريف الموضوع القرآني :

مصطلح مركب من جزأين الأول :الموضوع والثاني القرآني

الموضوع : لغة من الوضع , يقال وضعه وضعا : ألقاه من يده وحطه (2) والموضوع :المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه (3)

والقرآني : نسبة إلى القرآن والياء فيه ياء النسبة , والقرآن مصدره قرأ بمعنى تلا أو جمع وقيل مصدره قرن بمعنى ضم أو شبه فيصبح المعنى : المتلو أو المجموع أو المضموم أو المتشابه على معان أصلها لا يخفى على أهل الصلة باللغة (4)

وعليه يمكنني تعريف الموضوع القرآني بالقول : مجوعة مسائل وجزئيات وقضايا قرآنية يجمعها موضوع واحد في سياق مقاصدي شامل , كالاقتصاد في القرآن , النبوة في القرآن , الأسرة في القرآن .

ثالثا:تعريف المصطلح : جذره صلَح الدال على المسالمة والاتفاق , ولهذا المعنى دلالة خاصة لمفردته ,إذ بعد اختلاف في الدلالة كان يتنازع المفردة قبل تمحيص دلالتها العلمية بشكل أوضح على مضمونها ,هذا زيادة على صفات الجلاء والعلمية والوضوح(5) وسأوفي التعريف حقه عند عند تناوله في المبحث الاخير لاعتبارات بحثية .

---

[1]): منتدى العلوم السياسية والعلاقات الدولية :شرح منهج البحث العلمي :تعريف وهدف واهمية :منتديات طلبة الجزائر

[2]): الزبيدي : تاج العروس : دار الفكر : بيروت : 514/11

[3]): إبراهيم مصطفى وزملاؤه : المعجم الوسيط :دار الدعوة : تركيا : 1989م :1040/12

[4]) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : دار العلم للملايين : بيروت ط1988/17: 18−21 والدكتور فهد الرومي : دراسات في علوم القرآن :ط2003/11م: 18−19

[5]):ينظر : ابراهيم السامرائي :المصطلح الاسلامي : دار الحداثة بيروت : لبنأن :ط1 : 1990: 8

تعريف النقد:هو اختلاس النظر مع المداومة وقيل : إخراج الزيف ونقد الكلام على قائله وتمييز الجيد من الرديء وقيل هذه من وظائف النقد.(1)

وبذلك نخلص الى ان النقد:هو موقف من النص المنقود ,يقوم على رؤية تحلل العمل إلى عناصره وتفسره وتكشف عن وظائفه وقيمته (2)

تعريف التأصيل :تأصيل من الأصل والأصل ما يبنى عليه غيره ,أو ما يتفرع عنه غيره .والأصل أسفل كل شيء وجمعه أصول :يقال :استأصلت هذه الشجرة أي ثبت أصلها , واستأصل الله بني فلان إذا لم يدع لهم أصلا واستأصله قلعه من أصله .

وبهذا المعنى فالتأصيل :هو منهج أو طريقة في النظر تستند إلى أصل واضح يراد منه إثبات وجود طريقة مثلى في التعامل مع التفسير الموضوعي انطلاقا من أصول مدروسة .(3)

المبحث الأول :ضوابط تحديد الموضوع القرآني

وهي ضوابط ومحددات تنظم توصيف واختيار الموضوع القرآني بشكل خاص , وإن كانت تصلح لغيرها أحيانا وهي :

1.اختيار الموضوع القرآني :

يتوخى فيمن يتصدر للبحث في موضوع قرآني أن يكون مستمر الصلة بالقرآن الكريم , كثير الدربة في تأمل آياته واسع العلاقة مع التفاسير مطلعا على المظان , عارفا بالمصادر والمراجع الخادمة له ,وأن يكون له حظ من التذوق الذي هو ثمرة للتدبر الأمثل للقرآن الكريم

وأن يستحضر الموضوع الذي يشكل له معايشة شخصية ويحس من أعماقه بالحاجة إليه ويعرض مسائله وتفاصيله على القرآن ويقلب نظره في أحواله ويعتصر فكره في ربط أجزائه ببعضها , عارضا أعجازها على مطالعها , مستخلصا الدرس ومستوعبا المقصد ,خاليا من الغرض المذموم سالم النية راجيا توفيق الله ورضاه وخدمة كتابه العزيز امتثالا لقوله تعالى :﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ سورة التوبة :آية:122

---

[1]): الخليل بن احمد الفراهيدي : العين :مادة (نقد)و:ابن دريد الازدي :جمهرة اللغة :مادة (نقد) : وأبو منصور الأزهري :تهذيب اللغة :مادة (نقد), واحمد بن فارس :مقاييس اللغة : مادة (نقد) والزبيدي :تاج العروس : مادة (نقد).

[2]): سيد قطب :النقد الأدبي ,أصوله ومناهجه :د.ت : 6 بتصرف

[3]): زكي ميلاد :التأصيل والحداثة :مفارقة أم معانقة : مجلة النبأ : العدد 85 : نيسان 2007م : 1

هذا وأن تكون الحاجة للبحث فيه منطلقة من الواقع والإحساس بالحاجة إليه ;لأن ربط القرآن بالواقع يضفي على البحث حيوية ويبعدنا عن التنظير المجرد , ويفتح آفاقا قد تكون غائبة عن البحث وهذا ما يعطي البحث حركيته ومسايرته للأحوال .

وخذ على سبيل المثال : موضوع الأسرة في القرآن , وكيف يمكن أن يتناوله من عمل في المحاكم الشرعية وخبر الخلافات الزوجية أو عمل في الإفتاء وأدرك وعرف النائي من المسائل قبل المتبادر منها , هل سيكون التصور الذي سيخرج به هذا المعايش للواقع كما سيكتب فيه ويتناوله من كانت صلته تقليدية في النظر إلى حال الأسرة على افتراض المساواة بينهما في العناصر الأخرى ؟

بكل جزم يمكنني القطع أنهما لا يستويان في سوية المخرجات التي سيصلان إليها .

ولعل التصاق المفسر بالواقع يجعل الحركية في التفسير وسيلة متناولة للعامة عند رجوعهم إليه , وهذا ما منح كتاب في ظلال القرآن لمؤلفه سيد قطب تميزا في هذا العصر لملامسته الواقع واستقرائه لنصوص القرآن مقدما رؤية علمية في إطار أدبي لحل المشكلات وتقديم التصورات الإسلامية كما فهمها المؤلف رحمه الله .

لأجل ما تقدم فإن الموضوع القرآني المنوي بحثه يجب من باب الأولى أن لا يكون ترفا علميا أو بحثيا وإنما ملامسة للحاجة وإعمال للعقل في التدبر والتصاق بالهم وتطلع إلى الحل على هدي قرآني , وبكل تأكيد فإن حارة الألفاظ والأفكار ستتناسب طرديا مع درجة الواقعية والحيوية للموضوع , فكلما زاد القرب من واقع الحياة ومشكلاتها دينا ودنيا فإن ذلك مما يلمسه القارئ حتى تتجلى الأفكار مشاهد وتصورات مختمرة كاملة النضج عصية على التشويه , مرسِخة إيمانا لا يهتز.

2.التجرد والحياد

يشكل التأليف في التفسير الموضوعي فرصة مميزة لمن يريد التخلص من الهوى والنزعة المذهبية على اختلاف أنواعها , ذلكم أن التفسير الموضوع ي هو جمع للهم على موضوع واحد متحد في الهدف لا مجال فيه لاستجلاب النصوص غير الخادمة تكلفا أو تلك التي تعكس توظيفا لفكر مذهبي أو تروج لفكر ما , سيما أن التفسير الموضوعي أساسه المتين وركنه الركين هو قصر الهم والفكر على ذات الموضوع وعدم الانسياق إلى الأمور الجانبية وملازمة البنية الداخلية للنص والتمحور حولها , لذلك فأن التفسير الموضوعي يحصر الباحث فيه ضمن إطار لا يخرج عنه وأن خرج عنه سيظهر عواره لأن الاستعانة بنصوص لا تمت

للبحث بصلة خروج عن بدهيات التفسير الموضوعي –وأن كانت لا تزال في طور التشكل والتكوين –.

وقد علق د. عبد الرحمن حللي على هذه الإشكالية ذات التماس بإرهاصات ولادة الجهد الموضوعي في فهم وتفسير القرآن بقوله :(كثرت التفاسير والمقاربات للنص القرآني قديماً وحديثاً وتعددت المناهج واصطبغت بالمذاهب الفقهية والكلامية والتيارات الفكرية، فترددت تلك المقاربات بين الوفاء للنص في اكتشاف معانية وبين إسقاط المعاني عليه والتعسف في تأويله بما يتناسب مع توجهات القارئ، وفي سعي لتجاوز المزالق المذهبية في التفاسير ظهرت محاولات عديدة لاكتشاف معاني القرآن من خلال بنيته الداخلية، فظهر ما يسمى بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وهي فكرة قديمة تجد جذورها عند الجاحظ، لكنها استحضرت مؤخراً كمنطلق لما غدا يعرف بالتفسير الموضوعي، الذي يسعى –من خلال تتبع موضوع ما في جميع القرآن، أو اكتشاف موضوع يشكل رابطاً لكل سورة بمفردها– إلى تفسير القرآن بعيداً ما أمكن عن قَبليات القارئ وأملاً في تصحيح الكثير من القواعد والأحكام التي اختلف فيها أصحاب الفنون، لكن معظم هذه المحاولات سقطت في نفس الفخ الذي هربت منه إذ انطلقت إلى التفسير الموضوعي من خلال تجميع ما ورد في التفسير التحليلي وتركيبه بما هو عليه، فلم تختلف إلا صورة البحث وقالبه فقط، ومكمن ذلك افتقارها إلى المنهجية الشمولية المنضبطة.)([1])

فالقول بالرأي المجرد ولي أعناق النصوص وتحميلها ما لا تحتمل وإقحامها في غير مواردها كلها من عيوب البحث العلمي وخوارم العلمية التي يقع فيها أرباب الهوى والمذاهب المنحرفة التي تستدعي كل النصوص التي تعتقد أنها خادمة لها في الاستدلال أو الاستشهاد في سعي مكشوف لنيل الثقة وإضفاء الشرعية على الفكرة أو المعتقد .

وهذا مما يحسن بالباحث نبذه ,مقدِما التجرد منحازا للحقيقة بانيا النتائج على المقدمات غير مغفل لحقيقة أو مضخم لأخرى , فضلا عن كون أهل التفسير أجدر الناس بالانحياز للحقيقة القرآنية المتجلية وعدم إفساح المجال للهوى و الميل أن يعمل عمله فيشوه النتائج ويصبغها باللاموضوعية .

3. استيعاب المقاصد الشرعية

---

[1]):عبد الرحمن حللي :المفاهيم والمصطلحات القرآنية :مقاربة منهجية :مجلة إسلامية المعرفة ,منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي :الولايات المتحدة:العدد 35: 2004م : 68

شريعتنا الغراء في عقيدتها وتكاليفها وحلالها وحرامها وأوامرها ونواهيها والقرآن في قصصه وإحكامه وآدابه ومواعظه وعبره كل ذلك وغيره ينتظم في ضوء المقاصد الشرعية من ضرورات وحاجيات وتكميلات ,فالضرورات : حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ العرض وحفظ المال , فبقدر استيعاب الباحث لهذه الضرورات ومقدمات تحصيلها وإدراكه للتحسينات والحاجات فأنه يستطيع أن يحدد اتجاهه في البحث مستنيرا بالمقاصد الشرعية التي يعد تحقيقها ثمرة تحصيل فروع الدين , وغياب النظر للمقاصد الشرعية يعبر عن حالة من التيه وفقدان البوصلة , إذ أن ترابط الأحكام والعبادات متصل بشؤون الحياة كافة فالنظر المجتزأ يحرم الباحث من الوقوف على الموضوع القرآني مستهديا بالمقصد الشرعي الذي يود خدمته ودرسه .(1)

وبهذا يمكن ملاحظة أن المقاصد الشرعية شديدة الصلة بالمعالجة الواقعية الحركية للموضوعات القرآنية ذات التماس المباشر للنواحي الحياتية للناس لأن المقاصد الشرعية تعنى بالمسائل البشرية من حياة الإنسان على نحو لافت ,وذلك كحفظ حياته واعتبارها مقصدا شرعيا بالغ الأهمية وحفظ عرضه رعاية لغيرته وعناية بأولويات فطرته وشواغله , كما أن حفظ ماله أمر شرعي له أهمية لا تخفى فقد عني القرآن ببيان وسائل تحصيله الشرعية منها وغير الشرعية وسبل تنميته على هدي القرآن وعند الضلال وكذا سبل الأنفاق الشرعي وأوجهه والسبل غير الشرعية منه تنبيها وتحذيرا , كما أن الإسلام يجعل العقل وهو مناط التكليف في محل محترم وجانب مقدر ويجعل الحفاظ عليه احد مقاصد خمسة للشرع الحنيف .

فرعاية العقل والتفكير وإطلاق عنان الإنسان في التفكير والإبداع والتأمل والدعوة إلى السير والنظر والتفكر في النفس والحياة والكون هو توظيف هادف ورعاية سامية وتنزيل موقر للعقل وعناية توحي بمكانته ودوره في صناعة الطريق باتجاه الإيمان , صونا له عن الحيرة والشك والاضطراب والقلق .(2)

المبحث الثاني:مناهج البحث في الموضوع القرآني في الميزان

---

(1) :إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي :الموافقات في أصول الفقه:تحقيق عبد الله دراز : دار المعرفة : بيروت : لبنان : 176/2 بتصرف

(2): شريفة سلامة أبو مريفة : سلسلة أهل الذكر :وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والوعظ والإرشاد : المملكة العربية السعودية :ط1: 2001 : 7

تشكل المناهج الموجودة التي سار عليها أكثر الكاتبين في التفسير الموضوعي الركيزة الأولى لصياغة منهجية حاصرة وضابطة للبحث في التفسير الموضوعي وهي مع اكتنافها لجملة من المؤاخذات المنهجية فإن لها السبق في وضع أسس قابلة للتطوير والتمحيص والنقد في طريق الوصول إلى مرجعيات وضوابط بحثية مجمع عليها , وجهدنا الحالي ينتظم في هذا الإطار , وفيما يلي عرض للمناهج الموجودة بين أيدينا وهي :

أولا: منهج البحث في التفسير الموضوعي لسورة واحدة أو موضوع معين فيها .

وحسب هذا المنهج فإن الباحث يقوم بما يلي :

1. التقديم للموضوع بتمهيد ومقدمة تتعلق بأسباب نزول السورة أو الآيات المختارة إن كان لها سبب نزول خاص , وكذا صلة الآيات بالسياق الذي وردت فيه
2. محاولة التعرف على الهدف الرئيس للسورة أو الجزء المختار منها وذلك من خلال الموضوع الذي تعالجه هذه السورة .
3. تقسيم السورة أو الآيات منها إلى مقاطع أو فقرات بحسب المحور الذي تعالجه هذه السورة .
4. ربط المقاطع القرآنية بالهدف الذي تعالجه السورة وتدور حوله السورة أو الآيات منها
5. الوقوف على ألوان المناسبات المختلفة للسورة القرآنية مما يقوي الروابط للقارئ ويجليها كعقد شديد التواصل بعضها آخد بحجز بعض .

ويسجل لهذا المنهج جملة من الايجابيات :

1. يعد وسيلة تعليمية جيدة للمبتدئين من طلبة الاختصاص في الدراسات القرآنية والتفسير , إذ يشكل العمل به دربة ومثالا للانطلاق للتفسير الموضوعي الشامل للقرآن .

2. التفسير الموضوعي على هذا المنهج يحفز الباحث على التدبر بشكل معمق من اجل الوصول إلى إدراك موضوع السورة وصولا إلى الترابط الداخلي بين أجزاء هذا الموضوع .

3. يقوي قدرة الباحث على التقسيم والتفريع والنظر المعمق للموضوعات من خلال تقسيم السورة إلى مقاطع ومحاور .

4. يمكن الباحث والناظر في السورة من تذوق المناسبات القرآنية بين اسم السورة ومحورها وبين افتتاحيتها وخاتمتها وبين مقاطع السورة ومحورها وبين المقاطع مع بعضها البعض وبين السورة ككل وبين ما قبلها وما بعدها .

5. هذا فضلا عن القيمة العلمية التي يمكن أن تخلص إليها هذه الدراسات .

ومن المؤلفات في هذا النوع من التفسير : تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام للدكتور إبراهيم الكيلاني ,ونماذج من الحضارة القرآنية في سورة الروم لعبد المنعم الشفيع ,وقضايا العقيدة في سورة (ق) لكمال محمد عيسى , وقضايا المرأة في سورة النساء للدكتور محمد يوسف , وسورة الواقعة ومنهجها في العقائد للدكتور محمود غريب , والوحدة الموضوعية في سورة يوسف للدكتور محمد باجودة .

من ناحية أخرى فإن هناك ملاحظات على هذا المنهج تسجل عليه , أجملها في الآتي:-

1. أنه عاجز عن الوصول إلى تصور كلي في موضوع قرآني عريض , وأنه يناقش جزئية من موضوع كبير تبدو للباحث أنها موضوع مستقل , ومثال ذلك :بحث موضوع الأخلاق في سورة الحجرات , وهذا النوع من البحث سيحرم الباحث من الوقوف على أنواع كثيرة من الأخلاق وفروعها التي تناولها القرآن في عشرات السور القرآنية .

ومثال ذلك تفسير موضوع الربا في سورة البقرة , ونتاج ذلك حرمان الباحث والقارئ من الوصول إلى آيات أخر ذات علاقة مباشرة بالربا في سورة آل عمران والنساء والروم مما يحرم الناظر من الوصول إلى أجزاء الموضوع وحيثياته كافة مما يعطل وصوله إلى تصور قرأني للربا هذا فضلا عن كون الربا كله جزء من موضوع قرآني عريض وهو المال , فإن دراسة المال في القرآن الكريم هو تناول نظام اقتصادي شامل يوضح كسب المال وأنفاقه وتنميته بالأسس الشرعية واصلا لها من الأدلة القطعية على رأسها القرآن الكريم .

لذا فإن التجزيء بهذا الشكل إن لم يكن تشويها للصورة الكلية للنظرة القرآنية في معالجة وتوصيف الموضوعات الكبرى فإنه ثمرة لمنهج ينقصه عناصر الترابط الموضوعي .

2. أن دراسة السورة الواحدة موضوعيا هو تفسير مرجعه علم المناسبات القرآنية بغية إدراك العلاقات البينية بين أجزاء السورة مع بعضها والسورة كلا مع ما قبلها وما بعدها وهذا التناول من جهة علم المناسبات هو تركيز على الروابط الفنية والنكت البلاغية , فضلا عن وجود من لا يقر به أصلا من أهل التفسير , وهذا المنهج في التفسير يغيب عن الباحث أجزاء أخرى ذات علاقة صميمية , ومثال ذلك :دراسة سورة يوسف موضوعيا التي تكاد تتمحض لقصة يوسف عليه السلام فأن من نتائج ذلك تغييب آيتين , واحدة في الأنعام وأخرى في سورة غافر تتحدث عن يوسف عليه السلام , وهذا النقصان يؤثر على صورة المشهد العام الذي سيخرج به الباحث للسورة القرآنية .

3. يخشى على الباحث وفق هذا المنهج من الوقوع في إشكالية تكلف الموضوع الواحد وهو ما نسميه بالوحدة الموضوعية للسورة أو تكلف علاقات بين محاور يراها الباحث ,وبذلك نفقد الموضوعية العلمية في التفسير الموضوعي .

ثانيا : منهج البحث في لفظة أو أكثر من ألفاظ القرآن الكريم .

وطريقة البحث فيه :

1. أن يستخرج الباحث مواضع دوران اللفظ الواحد في القرآن الكريم .
2. أن يوظف الدلالة العددية لمرات تكرار اللفظة أو المفردة القرآنية دون تكلف
3. أن يرجع إلى التفاسير القرآنية والمعاجم اللغوية للوقوف على المعنى في السياق وفي أصل إطلاقه اللغوي .
4. يقف الباحث بعد ذلك على المعاني التي توافرت لديه لهذه المفردة بحيث يبرز أمامه عدد من المعاني نسميها (الوجوه):أي المعاني المتعددة للفظ الواحد في المواطن المختلفة , ومثال ذلك : كتاب كلمة الحق في القرآن للشيخ محمد عبد الرحمن الراوي وكتاب المنافقون للدكتور محمد جميل غازي .

وهنا يسجل الباحث لهذا المنهج جملة من الايجابيات :

1.يعد هذا النوع من التفسير من وسائل تفسير القرآن بالقرآن والأمثلة على ذلك كثيرة تفسير قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ سورة الأنعام : الآية :82 اذ فسر الظلم الوارد فيها من خلال تعريفه بموضع آخر وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ سورة لقمان : الآية : 12 ففسر الظلم بالشرك بعد أن شق عليهم المعنى الأول فطلبوا له تفسيرا .

وهذا التفسير الذي نشأ من علم الغريب الذي نما طرديا مع عصر النزول , فكلما زاد البعد عن زمن الوحي زادت الكلمات والمفردات التي يعدها الناس من الغريب لدخول العجم في الإسلام وتناقص العرب الأقحاح الخلص وغيرها , يقول ابن خلدون :التفسير الذي يعتمد على

بيان الألفاظ وبيان المقصود منها أولا , ويستند إلى معرفة اللغة من إعراب وبلاغة فهو المقصود الأول من التفسير ([1])

2. يعد هذا النوع من التفسير من أكثر أنواع التفسير عمقا واختصاصا فهو لا يعتمد تفسير القرآن كليا ولا سورة منه بعينها ولا آية مخصوصة محددة وإنما لفظة أو مفردة قرآنية يركز عليها مزيد من البحث والتتبع والدراسة .

وتأكيدا لهذا المعنى يقول الراغب الأصفهاني :(أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة , فتحصيل معاني مفردات الألفاظ في كونه من أول المعاون لمن يحتاج ولمن يريد أن يدرك معأنيه ......وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع ,فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته , وواسطته وكرائمه , وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم, وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الطعام)([2]).

وفي حديثه عن مكان ومكانة المفردة القرآنية في التفسير الموضوعي يقول د. زياد الدغامين : (إن بعض الناظرين في أقسام التفسير الموضوعي يحتار في القسم المتعلق بالمفردة القرآنية ويتساءل كيف يكون قسما من أقسام التفسير الموضوعي ؟., وقد يثير هذا الكلام إشكالية في مفهوم التفسير الموضوعي نفسه , من حيث جمع الآيات القرآنية في موضوع ما هو جمع للآيات التي وردت فيها مفردة قرآنية معينة , والبحث عن دورانها في القرآن , فما الفرق بين الطريقتين في التعامل مع الموضوع القرآني ؟

والجواب عن ذلك : إن هذا القسم من التفسير الموضوعي إنما يمثل حلقة مهمة في سلسلة موضوع الدراسة , وذلك أن دراسة موضوع ما إنما يرتكز ابتداء على تحديد المقصود بعنوان ذلك الموضوع والمفردات التي يتشكل منها , وعلى هذا فإن دراسة مفردة قرآنية على مستوى القرآن الكريم كله قسما مستقلا من أقسام التفسير الموضوعي ولكنها حلقة البداية في تفسير الموضوع القرآني .)([3])

3. يكشف هذا المنهج عن وجه من وجوه بلاغة القرآن وإعجازه من حيث القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى والوصول باللفظ الواحد إلى معاني عديدة ([4]) وهذا جوهر ومقصد علم الوجوه

---

[1]) :ينظر: عبد الرحمن محمد بن خلدون :المقدمة :تحقيق المستشرق الفرنسي ا.م.كاترمير:عن طبعة باريس 1858م:مكتبة لبنان : 200

[2]) : الراغب الأصفهاني : المفردات : 10

[3]): د. زياد خليل الدغامين : التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه :دار عمار : عمان : الأردن :ط1 :2007م:71-72

[4]): محمد علي الصابوني : التبيان في علوم القرآن : عالم الكتب :بيروت : لبنان : ط1: 1985م :109

والنظائر , ويقصد بالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ,أي أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة وأريد بكل معنى غير الآخر .

والنظائر : اسم للألفاظ المتواطئة مثل جواد , كريم, فالنظائر اسم للألفاظ والوجوه اسم للمعاني ([1]) , ومن المؤلفات في علم الوجوه والنظائر الذي ظهر مبكرا من القرن الثاني الهجري واستمر التأليف فيه بكثافة فيما بعد والتي يمكن للباحثين الإفادة منها في الانطلاق لبناء تصور أولي للمفردة القرآنية :-

1. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي ت150هـ
2. التصاريف :تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ,لأبي زكريا يحيى بن سلام البصري ت200هـ
3. ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد , لأبي العباس المبرد ,ت285هـ
4. تحصيل نظائر القرآن الكريم , لأبي عبد الله محمد بن علي الملقب بالحكيم ت320هـ
5. وجوه القرآن , للحيري النيسابوري ,ت 430هـ
6. إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ,لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين الدامغاني , ت478هـ
7. نزهة الاعين النواظر في الوجوه والنظائر ,للإمام جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي ,ت597هـ
8. منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر , لابن الجوزي , وهو مختصر لكتابه السابق
9. وجوه القرآن , لأبي الفضل التبليسي ,ت629هـ
10. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز , لمجد الدين الفيروز آبادي ,ت817هـ
11. كشف السرائر في معنى الوجوه والنظائر , لشمس الدين بن العماد ,ت887هـ
12. معترك الأقران في إعجاز القرآن , لجلال الدين السيوطي ,ت911هـ([2])

وهناك كتب أخرى مخطوطة وكذلك مفقودة سأصرف عن ذكرها خشية الإطالة

---

[1]): ابن العماد :شمس الدين محمد بن محمد بن علي ت887هـ:كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر : تحقيق فؤاد عبد المنعم احمد : مؤسسة شباب الجامعة : الإسكندرية ط1977م :15

[2]): د. محمد صالح عطية الحمداني : الوجوه والنظائر :محاضرات لطلاب الدكتوراه جامعة بغداد :كلية العلوم الإسلامية : 2002م: 15-17

وقد خالف الحكيم الترمذي قول القائلين بالوجوه والترادف ,إذ يقول محقق الكتاب عن مراد المؤلف : (يجب أن يكون للألفاظ معنى ثابت لا يتغير , ويجب أن يكون هناك عامل مشترك ثابت بين صور اللفظ المتعددة , فاللفظ مهما تعدد معناه ,فمرجعه إلى حقيقة واحدة , تلك هي الفكرة الرئيسة التي قام عليها تأليفه كتاب (تحصيل نظائر القرآن الكريم) ويبدو أن الحكيم الترمذي قد وقع في يده بعض الكتب المؤلفة في نظائر القرآن , ويدعي فيها مؤلفها : أن اللفظ يرد على وجوه كثيرة متباينة , فهو في مكان بمعنى , وفي آخر بمعنى ,وفي ثالث بمعنى وهكذا , مثلا : كلمة الذكر , تأتي مرة بمعنى الصلاة , وبمعنى الخبر , وبمعنى الوعظ , وبمعنى الشرف , وبمعنى القرآن , فهو يدعي أن لفظ الذكر يأتي في كل مرة بمعنى آخر , فجاء الترمذي ورد على مؤلف هذا الكتاب وأوضح أن هذه المعاني جميعا وتلك الوجوه المتعددة في الظاهر , إنما مردها إلى أصل واحد تتشعب عنه , وترد اليه , فكلمة الذكر هذه إنما مردها إلى أصل واحد , ثم تشعبت هذه الوجوه عنه)(1)

ويتفق هذا الكلام مع ما ذكره السيوطي(2) أن النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة والتابعين قد تعرضوا لشيء من الوجوه والنظائر , فينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة)**(3)

ويسجل على هذا المنهج أمور عديدة أهمها : -

1. هذا المنهج فريد وعميق في بابه وهو علم الوجوه والنظائر , إلا أنه لا يمكن بحال أن يكون منهجا من مناهج التفسير الموضوعي وتصنيفه على أنه منهج من مناهج التفسير الموضوعي خلط واضح سببه غياب معنى التفسير الموضوعي وضبابية المصطلح عند كثير من الكاتبين في التفسير .

فاعتماد اللفظ موضوعا هو انطلاق من الوحدة إلى التفرق لا جمع للمتفرق وصولا به إلى موضوع واحد بل هو العكس تماما من حيث الشكل ومن حيث المضمون إذ هو انطلاق من لفظ واحد له معنى لغوي واحد متبادر انطلاقا به إلى معان كثيرة قد لا يجمعها جامع خلافا للحكيم الترمذي .

إذ أن منهج التفسير الموضوعي يقوم على تجميع الشتات وتوحيد العلاقات ونظم المشتركات وصولا إلى موضوع قرآني متكامل بعكس الوجوه والنظائر الذي يقوم على تفريق

---

(1): الحكيم الترمذي : تحصيل نظائر القرآن : تحقيق حسن نصر زيدان : مطبعة السعادة :ط 1 :1970 : 14-15

(2): جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن :دار الكتب العلمية بيروت : لبنان :ط 1: 1987م: 306/2

(3) : أخرجه ابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان :كتاب البر والاحسان –باب ماجاء في الطاعات وثوابها , وضعفه الالباني في السلسلة الضعيفة : مكتبة المعارف : الرياض برقم :4105: 106/9

المجتمع لا تجميع المفترق , وبهذا يخرج شكلا وموضوعا من دائرة التفسير الموضوعي إلا باعتبار النظر إلى الموضوع شكلا أنه اختصاص فيختص بلفظ دون غيره وهذه علاقة لا تكفي بحال من الأحوال لجعله احد مناهج التفسير الموضوعي , وبالمناسبة فإن أحدا من المؤلفين فيه لم يدع ذلك , لكن بعض المتأخرين قد عده من ضمن مناهج التفسير الموضوعي ([1])

هذا مع ملاحظة أن الموضوع القرآني يقوم على الاشتراك في اللفظ والمعنى وقد لا يكون للفظ المجرد اية قيمة في البحث مثال ذلك البحث في موضوع الأسرة في القرآن , فالأسرة لفظة غير قرآنية ولم يرد ذكرها مطلقا في كتاب الله العزيز مع أنه موضوع عريض جامع لأمور الزواج والطلاق وبر الوالدين والنفقة والعشرة والحقوق والواجبات والحمل والرضاع والقوامة والنشوز والعدة والخطبة والميراث والعضل والتعدد والخلع والرحمة وغيرها .

فمنهج التفسير بالوجوه والنظائر الذي يعمد إلى اللفظ منطلقا يعجز عن الوفاء بحاجات الباحثين وفق منهج التفسير الموضوعي وعلو مطالبهم, هذا فضلا عن كونه لا يمت لهذا العلم إلا بصلة شكلية واحدة هي الاختصاص بمفردة تكون موضوعا ومدارا للبحث , وهذا لا يرقى به إلى التوصيف بأنه تفسير موضوعي , وأن كان يعد مصدرا مفيدا وخادما للتفسير الموضوعي كمرجع من مراجع غريب القرآن وتفسير المفردات .

ويمكن في حالة واحدة النظر إليه كتفسير موضوعي إذا فهمنا الوجوه والنظائر بفهم الحكيم الترمذي الذي يرجع الوجوه التي تبدو متباينة إلى أصل واحد يجمع كل المعاني المفترقة في رأيه الذي سبق عرضه ,والذي يرجع فيه المعاني إلى معنى أصيل واحد تدور حوله وترجع إليه المعاني الأخرى كافة , وهو ما لا يقصده احد من أهل التأليف في الوجوه والنظائر بل عكسه تماما ما أراده المصنفون في هذا العلم بغية إبراز وجه من وجوه غنى لغة القرآن وبلوغه الدرجة العالية الرفيعة في البلاغة .

2. يعد البحث من خلال تتبع مرات تكرار اللفظة القرآنية بحث قشري في الموضوع القرآني – على فرض التسليم به موضوعا–إذ أنه حصر لمواطن ورود اللفظ دون المعنى , كما أن البحث من خلال اعتماد الموضوع مدعاة للتدبر والتأمل ويمنح الباحث فيه قدرة اكبر على

---

[1] :انظر:د. زاهر عواض الالمعي :دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ط3: 2004م :15 وينظر :د.عباس عوض الله عباس :محاضرات في التفسير الموضوعي :مكتبة الخبتي الثقافية :ط1: 1424هـ:19 وينظر :د.فهد الرومي :بحوث في اصول التفسير ومناهجه :ط8: 2007م:66–68

الإحاطة بشتات الموضوع بعيدا عن محدودية اللفظ التي قد تحجب آفاقا واسعة ذات تماس مباشر بموضوع البحث .

ثالثا: منهج البحث في مباحث أصول التفسير (الدراسات القرآنية)

وموضوع أصول التفسير هو علم التفسير من حيث تحديد قواعده وأسسه وشروطه وتناوله وطرقه ومناهجه وما إلى ذلك (1)

وبذلك تكون المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وتفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك من أصول التفسير , لأنها من العلوم التي يشترط على المفسر معرفتها والعلم بها (2)

وقد شكل هذا النوع من التأليف التي تناولت الموضوعات السابقة الذكر اختلافا في تصنيفه عند من نظروا للتفسير الموضوعي ;هل تعد منه رغم عدم تقيدها بطريقته في التأليف أم أنها تتدرج ضمن ما يصطلح عليه ب(الدراسات القرآنية).

والحقيقة أن تداخلا موجودا بين الاصطلاحين إلى درجة أن هناك من لا يفرق بينهما , فالدراسة القرآنية هي تفسير موضوعي ينقصه الانضباط بطريقته , هذه الأخيرة التي لا تزال موضع اجتهاد من طرف المنظرين لهذا المنهج .(3)

ومن الأمثلة على هذه المؤلفات(4):

1.الناسخ والمنسوخ , لقتادة بن دعامة السدوسي ت117هـ

2. تأويل مشكل القرآن , لابن قتيبة الدينوري ت276هـ

3.إعراب القرآن , لأبي اسحق الزجاج ت311هـ

4. إعجاز القرآن , لأبي بكر الباقلاني ت403هـ

5 . أسباب النزول , لأبي الحسن الواحدي ت468هـ

6. أمثال القرآن , للماوردي ت450هـ

---

(1):المصدر السابق: 13

(2) : المؤلف السابق : دراسات في علوم القرآن : ط11: 2003م :30

(3): د. صونيا وافق : منهج التفسير الموضوعي والحاجة إليه : بحث في المؤتمر العالمي لمناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث : الجامعة الإسلامية : ماليزيا :دار التجديد للطباعة والنشر : ط1: 2007م : 653/2

(4) : أفاد الباحث في اختياره لهذه المؤلفات من العرض المفصل لما دون في علوم القرآن من خلال كتاب د. فهد الرومي : دراسات في علوم القرآن : ينظر الصفحات :38-45

7. مبهمات القرآن , للسهيلي ت581هـ
8. مجاز القرآن , للعز بن عبد السلام ت660هـ
9. فضائل القرآن , لابن كثير الدمشقي ت774هـ
10. غريب القرآن , لابن الشحنة ت921هـ
11. كفاية المستفيد في علم التجويد , لعبد الغني النابلسي ت 1143هـ
12. التصوير الفني في القرآن , لسيد قطب ت1387هـ

هذا وإلى جانب المؤلفات في علوم القرآن فقد ظهرت تآليف للفقهاء نحى فيها أصحابها منحى التفسير الموضوعي , في الوقت الذي نسجل فيه أسبقية علم الفقه على كل علوم الدين من حيث التوجه المبكر نحو الاختصاص والدقة في تناول المسائل والقضايا بنحو موضوعي , حيث جمعوا من القرآن النصوص المتعلقة بموضوع فقهي ثم أردفوا بالأحاديث في نفس الموضوع ثم استنبطوا منها جميعا أحكامهم , ويعد كتاب الرسالة والأم للشافعي من ابرز الأمثلة على ذلك .(1)

لكن ذلك يجب أن لا يفهم على أن الفقهاء قد مارسوا هذا النوع من التفسير بالصورة التي يعرض بها اليوم منهجا له خصائصه المميزة ,بقدر ما يعني التقارب الحاصل بين منهج الفقهاء في القديم ومنهج التفسير الموضوعي حديثا. (2)

ويسجل لهذا النوع من التأليف في الدراسات القرآنية جملة من الفوائد الكبار اهمها :

1.الخدمة الجليلة المتخصصة لمباحث ودراسات قرآنية متخصصة تذهب بالباحث والراغب إلى المقصد المطلوب مباشرة دونما تكلف عناء دراسة مطولات التفسير الموسوعية الشاملة, سيما في زمن تقاصرت فيه الهمم وقل فيه الصبر على تحصيل العلوم .

2.إتاحة الفرصة أمام الباحث والمؤلف المبدع أن يعبر عن إبداعه في المجال الذي يعتقد أهليته فيه وقدرته على مد هذا العلم بإضافة نوعية , وبدون هذا كنا سنحرم من جهود عدد كبير من العلماء برعوا في علم من علوم القرآن دون غيره كالقراءات والتجويد والإعراب وغيرها .

3.لفت النظر إلى الموضوعات ودراسات قرآنية ما كان من السهولة ايلاؤها كل هذا البروز والظهور دون تسليط الضوء عليها منفردة كعلم مبهمات القرآن ومجاز القرآن وأقسام القرآن وفضائله وغيرها .

---

[1]) : ينظر : محمد باقر الصدر : المدرسة القرآنية : دار التعارف : بيروت : لبنأن : ط 2 : 1981م :17 وما بعدها

[2]) : د. احمد رحماني : التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا : منشورات جامعة باتنة : الجزائر : 1998م :111 بتصرف

ويسجل على هذا النوع من الدراسات في علاقته بالتفسير الموضوعي ما يلي :-

1. أنه أضيف إلى مناهج التفسير الموضوعي ولا وجه له بهذه الصلة إلا الاختصاص بالموضوع الواحد المعين والانصراف عن الشواغل الأخرى التي كانت تعتري عمل كثير من المشتغلين بالتفسير والمؤلفين فيه , هذا مع بيان أن أيا من المؤلفين في الدراسات القرآنية لم يصنف عمله ذلك على أنه تفسير موضوعي القدماء والمحدثين منهم على حد سواء , زيادة على أن هذا المصطلح (التفسير الموضوعي) نشأ حديثا وبعد وفاة أكثرهم بمئات السنين , إلا أن بعض المؤلفين والمنظرين للتفسير الموضوعي عدوه احد مناهج التأليف فيه (1)

2. لا تعد المؤلفات وفق المنهج المشار إليه من التفسير الموضوعي لوجود فارق جوهري يجدر التنبيه إليه وهو أن التفسير الموضوعي يجب أن يكون لأمور مستمدة من القرآن أصلا وفرعا , فيما أكثر الدراسات القرآنية المشار إليها هي دراسات خادمة للتفسير وعلوم القرآن بشكل عام وتستمد من القرآن الكريم أدلتها وتطبق النظرية التي تقوم عليها الدراسة على أساس نصوصه , مثل : مجاز القرآن وتجويد القرآن وتلاوته وفضائله .(2)

وهذا بخلاف التفسير الموضوعي الذي ينطلق من الآيات لبناء تصور قرآني لقضية أو موضوع قرآني انطلاقا من النص القرآني بخلاف النظريات التي تستخدم النص القرآني للاستشهاد , فيما تكون النظرية التي انطلقت منها جاهزة قبل النظر في القرآن , وهذا فارق منهجي ينعكس على شكل البحث ومضمونه .

رابعا : منهج البحث في التفسير الموضوعي عبر المعاجم الموضوعية .

معلوم أن البحث العلمي هو تجميع أو شرح أو استنتاج أو تفريع أو تقعيد أو فرز ونحو ذلك فالفرز والتجميع والعزل هو مفتاح ومدخل للتفسير الموضوعي .

وبالإمكان عده أهم وسائل تفسير القرآن بالقرآن في التفسير الموضوعي وهذا يمثل برأي الباحث الذروة في أنواع التفسير من حيث السمو و الشرف .

وعليه فإن المهمة التي نهض بها المشتغلون في المعاجم الموضوعية هي جهود مضنية ومعتبرة بالرغم من الفروق ذات الأهمية والدلالة بين كل منها .

---

(1): ينظر:د.زاهر الألمعي :دراسات في التفسير الموضوعي :16 وغيره

(2) :ينظر : عبد المجيد شوقي البكري : كتاب الوحي والتنزيل : دار الكشاف : الموصل : 1951م: 49

فقد أنطلق هذا النوع من الفهارس ووضعت أحرفه الأولى على يد: الراغب الأصفهاني ت502هـ من خلال كتابه (مفردات القرآن) وبالنظر لنزعة الاستحضار وكثرة الحفاظ فقد أدى ذلك إلى انصراف الهمم إلى شؤون بحثية أخرى وبقي هذا التوجه في التأليف غائبا إلى بدايات القرن العشرين حيث ألف المستشرق (جول لابوم) تفصيل آيات القرآن الكريم وهو رغم ما عليه من ملاحظات وعدم حصره لموضوعات القرآن كافة إلا أنه يشكل لبنة هامة فتحت الأعين من جديد على وسيلة تمكن الباحثين من خدمة المشتغلين في التفسير وعلوم القرآن , فضلا عن العامة من الناس .

وقد ذكر الأستاذ منصور فهمي أن من أوائل من كتب في ذلك وسبق به المسلمين المحدثين المستشرق الألماني (فلوجل) : نجوم الفرقان في أطراف القرآن عام 1842م وهو الذي جعله محمد فؤاد عبد الباقي أساسا لكتابه المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ([1]), والذي يفيد في معرفة مرات تكرار المفردة القرآنية وموضعها في كل مرة ذكرت فيها وهو لا شك مفيد على وجه خاص في التفسير الموضوعي والموضعي وفي الدلالة على أماكن الآيات على أماكن الآيات .

وقد كان من الطبيعي أن تتأخر ولادة المعاجم الموضوعية لأنها بدون شك أفادت كثيرا من معاجم المفردات التي شقت لها الطريق , ويمكن القول أنها ثمرة لها وإن كانت صعوبة إعداد معاجم المفردات في الحصر والضبط لمرات الورود وتكرارها فإن إشكالية المعاجم الموضوعية تكمن في اعتماد الموضوعات وهو لا يتأتى لباحث مبتدئ ويحتاج إلى جهد مشترك ويكون ثمرة لتدبر وبعد أفق ووضوح للرؤى وقضايا الإسلام عامة حتى يحيل كل آية إلى الموضوع الأليق بها وربما إلى المواضيع التي يمكن توظيفها فيها .

ومن هذه المعاجم :-

1. المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم , لصبحي عبد الرءوف عصر
2. العنوان السابق ذاته , لمحمد مصطفى محمد وقد سجل عليهما بعض الباحثين النقص مع تفضيل الأول على الثاني ([2])
3. تجميع آيات الموضوع لآيات القرآن الكريم , لنوح احمد محمد , وقد عدته الدكتورة صونيا اجمع واشمل ما ألف في فهرسة موضوعات القرآن الكريم فضلا عن تأخره .([3])

---

[1]) : ذخر الدين شوكة : دليل آيات العبادات والأحكام والتوجيه في القرآن الكريم :جمعية عمال المطابع التعاونية : عمان : الأردن : ط1 : 1981م: المقدمة

[2]): د. صونيا وافق : مناهج التفسير الموضوعي والحاجة إليه 2/ 654

[3]): المصدر السابق : 654/2

4. المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم , لحسان عبد المنان , وقد ذكر فيه المؤلف أنه أفاد من جهود سابقيه وأتم النقص الذي رصده فحصن بحثه عما عاب عمل سابقيه
5. كتاب ترتيب نصوص أي الذكر الحكيم في أبواب الدين القويم , لابن محمد وهو كتاب جيد تلافى كثيرا من أخطاء المستشرق (لابوم) ويبدو أنه قديم في هذا الباب [1]
6. تصنيف آيات ومواضيع القرآن الكريم , للحاج مصطفى والجهد المبذول فيه كبير ويسد فراغا في هذا الموضوع [2]
7. دليل آيات العبادات والأحكام والتوجيه في القرآن لذخر الدين شوكة , مع ترجمة تفسيرية لهذه الآيات المنتخبة موضوعيا .

ويسجل على هذا المنهج في التأليف ما يلي :

1. أنه لم يصل إلى درجة النضج المطلوبة والتي اعتقد أن باحثا واحدا بمفرده لا يمكنه الوقوف على كل مقاصد القرآن الكريم وبالتالي الخلوص إلى كل موضوعات القرآن أو أكثرها و أن جهدا كهذا يحتاج إلى مجموعة نجباء من أهل الاختصاص والنظر , لذلك سجلت ملاحظات النقص على أكثر الجهود السابقة .
2. إن تفريع وتقسيم الموضوع الواحد في ثنايا المعاجم يخضع لتصور المؤلف , كأن يعرض للربا على أنه عنصر من عناصر موضوع الإثم أو الأخلاق الفاسدة ويغفل دراسته في باب أو موضوع المال في القرآن أو الاقتصاد وهذا ومثله دليل على استيلاء النقص على سائر البشر , لكن المشاركة والمعاضدة في تأسيس عمل نوعي كهذا يهدف ويخدم كتاب الله على نحو أفضل ويقلل من احتمالية الخطأ البشري , ويؤدي إلى استحضار أفضل للأفكار وتوظيف كل آية بأليق مكان وأحسن إمعان , سيما أن المؤلفين الذين سبق ذكرهم قد ألزموا أنفسهم من خلال عنوانات كتبهم بالبحث موضوعيا وهذا يلقي على عواتقهم كامل المسؤولية البشرية , مدركين أن التفسير بشكل عام هو نسبي بقدر والوسع والطاقة البشرية , ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها , وفي ذات الوقت لا يعطيهم هذا بعد تصدرهم له من تعريضهم للنقد عن القصور أوالتقصير .

ويسجل لهذا النوع من التأليف في التفسير الموضوعي جملة ايجابيات :

---

[1]): ذخر الدين شوكة : دليل آيات العبادات :ص د في مقدمته
[2]) : المصدر السابق : المقدمة

1. أنه سد حاجة مسيسة للباحثين وأهل التفسير فبدل أن تصرف الجهود الفردية بشكل غير موثق تصرف مرة واحدة ويمكن الإفادة منها فيما بعد والبناء عليها , وهذا من أهم بدهيات فوائد المعاجم بشكل عام .
2. أن المعجم الموضوعي يفتح آفاقا جديدة للمتأملين والدارسين وطلبة الدراسات العليا لأن فرز الموضوعات وتجميعها هو ثمرة تدبر ومن شاور الناس شاركهم في عقولهم , ومن قرأ مؤلفات المعاجم شارك الباحثين في تدبرهم وأفاد منه.
3. يعطي المعجم الموضوعي مفتاحا لتفسير القرآن بالقرآن ويبين مدى العناية الإلهية بجوانب الحياة كافة مع معالجة تظهر مكانة الأمور في نصابها الشرعي , كما أن حجم ومساحة الآيات وعددها يعطي إشارات وضاءات ذات دلالة لا تخفى على أهمية الموضوع ومركزيته ومكانته في الشرع عموما وتوجيه النظر إلى ذلك .
4. تظهر المعاجم الموضوعية جانبا من جوانب الإعجاز القرآني في توظيف واستثمار الآية القرآنية من خلال تقديم إضافة أو مدخل ادخل لأمر ما أو مسألة ما وكذا إمكانية الإفادة منها في غير ما موضوع , مما يؤكد غزارة معاني آيات القرآن وأن الآية الواحدة قد يوفق باحث لجعلها أسا لعدد من موضوعات القرآن أو مفيدة فيها .
5. الرجوع إلى المعاجم الموضوعية ينبغي حتى يعطي أفضل اثر أن يسبق بجهد شخصي في البحث والاستحضار والنظر والتدبر ثم استعراض ما في المعجم وبهذا يمكن أن نزاوج بين نظرين وتدبرين وخبرتين وهذه فائدة لا تخفى حسب هذه الوصفة

خامسا : منهج البحث في الموضوع القرآني

مواضيع القرآن وأغراضه التي نزل لأجلها ومقاصده التي دعا إليها أكثر واكبر من أن تستقصى وهذا مصداق قوله تعالى :﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ سورة الأنعام :

الآية :38 وقوله عز من قائل :﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ سورة النحل

:آية 89 , ولم يحط من البشر احد بكل ما جاء به القرآن إلا رسوله الكريم , خلا ما استأثر الله به في علم الغيب عنده ومع ذلك لم يفسر الرسول عليه الصلاة والسلام القرآن كله حتى يبقى

التدبر في الأمة مفتوحا ومتاحا , إذ لا يتصور أن تتدبر القرآن لتبصر شيئا لم يبصره من عليه أنزل .

هذا ويمكن تقسيم أهم مقاصد القرآن وإغراضه إلى المواضيع الآتية لأجل تكوين فكرة عن محتوياته لا للإحاطة بإغراضه وهي :

1.الله تعالى	2. الإيمان	3. الملائكة	4. ملكوت الله	5.الرسل والرسالة
6. محمد	7.التبليغ	8.الأمم الماضية	9.الأديان الأخرى	10.موسى والتوراة
11.عيسى والإنجيل	12. القرآن	13.أشهر الأنبياء	14.خلق العالم	15.خلق الإنسان والأحياء
16.ادم	17.الحياة والموت	18. الكفر والشرك	19.فناء العالم	20.مملكة آل إبراهيم
21. يوم الدين	22.ما وراء لطبيعة	23.الجنة والنار	24.الدين والشريعة	25.العقيدة
26. العبادات	27.الأحكام والميراث	28.ذكر الله	29.اللغة العربية	30.النظام الاجتماعي
31.الأخلاق	32. التقوى	33.العلوم	34.الجن والشيطان	35.التجارة والتعامل
36.أخبار الغيب	37.الطوفان	38.الحضارات وأفولها	39.الأسرة والمرأة	40.المواعظ والأمثال
41.المسلمون والمؤمنون	42.الجهاد والحرب	43.القصص والتاريخ	44.علم الفلك	45.الدعاء

إلا أن هناك من يرى أن مواضيع القرآن تنحصر في ستة :

عقيدة وعبادة ومعاملة وعلوم وأخلاق وأحكام , وما سوى ذلك من المواضيع فهي شروح وفروع (1)

وبالإجمال يمكن القول أن القرآن لا يستدرك ولا تحصى مقاصده وأن أنواع العلوم ليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها وأن المواضيع المتقدمة كل منها يشتمل على شعب بحيث لا يمكن تتبع أكثر المواضيع والإحاطة بها (2)

فمن ذلك موضوع الأخلاق إذ أن فروعه المذكورة في القرآن أكثر من أربعمائة من الأخلاق الايجابية والسلبية وكل فرع من هذه الفروع له اتصال وثيق بالأخلاق وللتوضيح اضرب مثالا واحدا لخلق المداينة , فهي وأن كانت مسألة فقهية من باب التعامل إلا أن فيها ناحية أخلاقية مهمة كطمع الدائن على المدين أو إلحاق أذى به أو استخدام له أو منة عليه أو إرهاق بالمطالبة

---

(1):البكري : كتاب الوحي والتنزيل :84–85 بتصرف و السيوطي : الإتقان 2/279

(2): البكري :كتاب الوحي والتنزيل :86

أو عدم انتظاره إلى وقت ميسرة وأمور أخرى كلها وردت في القرآن وكذا الحال عن المرض والأسر والرهن التي يظن القارئ أنها بعيدة عن موضوع الأخلاق وهي منه قريبة .

وقد اخرج البيهقي عن الحسن قال :(أنزل الله مائة وأربع كتب وأودع علومها أربعة منها : التوراة والإنجيل و الزبور والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان)(1)

وقال الإمام الشافعي : (جميع ما تقوله الأمة المحمدية شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن)(2) حتى وصل الحد عند المكثرين في هذه العلوم ومنهم القاضي أبو بكر ابن العربي : علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع وهذا مطلق دون اعتبار تركيب ما بينها من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله (3)

وبعد هذه المقدمة عن مواضيع القرآن أود التذكير بأسباب نجاح البحث في الموضوع القرآني والتي عرضت لها موسعا أول البحث .

1. حسن اختيار الموضوع القرآني والتركيز على كليات المواضيع وترك الفرعيات لأن التصور الكلي والشامل يظهر إحكام الصنعة الإلهية بما يوفره من خلال تجميع عناصر الصورة ليبدو مشهدا شديد الاتصال وثيق العرى بين أجزائه مكتمل العناصر لا تفريط فيه لشاردة أو واردة : (إن تجميع الآيات الموزعة في كل القرآن في تصنيف عقلاني قادر على أن يعطي فكرة شاملة عن المعطيات القرآنية في كل الأمور)(4)
2. .الانطلاق من الواقع والبحث عن معالجاته في القرآن الكريم ليس بمعنى أن يسبق البحث تحديد مشكلة وإنما البحث منطلقا من هم معاش ورغبة في استجلاء تصور قرآني
3. إيلاء مباحث علوم القرآن أهمية عليا عند استحضار الآيات مدار البحث من حيث أسباب النزول الخاصة ومعرفة ترتيب النزول ما أمكن ومعرفة المكي والمدني إضافة إلى الناسخ والمنسوخ والقراءات وتأويل المشكل من الآيات وكل واحدة من هذه المباحث تجلي لنا جانبا فمعرفة سبب النزول تضع الباحث في ظروف النص وحال المتلقين وقت النزول وترتيب النزول مفيد في ملاحظة التدرج في التشريع ولاحظ ذلك في مسائل الربا والخمر والجهاد

---

(1) اخرجه البيهقي في السنن الكبرى 188/9

(2): السيوطي : الإتقان : 271/2 وجمال الدين القاسمي الدمشقي : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث : 59

(3): ابن عربي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي ابو بكر : قانون التأويل :تحقيق : محمد السليماني : دار القبلة للثقافة الاسلامية : مؤسسة علوم القرآن :ط1986/1م : 512 بتصرف

(4): موريس بوكاي : القران والانجيل والتوراة في ضوء المعارف الحديثة :مكتبة مدبولي :القاهرة ط 2 : 2004م

وغيرها , ولا يخفى ما لمعرفة المكي والمدني من تخيل حال المسلمين وطبيعة الخطاب القرآني تلك الفترة ومراعاة سمات كل فترة منهما .

ولا يفوت التذكير أن معرفة الناسخ والمنسوخ مفتاح لمعرفة أنواعه الأخرى ,وما يترتب على ذلك , كما أن وجود وجوه عدة للقراءة الواحدة يعطي أثرا في المعنى والحكم الشرعي فضلا عن اللغة فاستحضار كل هذه العناصر يمنح البحث شمولية في التصور ووضوحا في أدق تفاصيل النص القرآني المعروض للبحث .

4. الانطلاق من الموضوع لا من المفردة بحيث يكون الموضوع الشامل العريض الحاوي على تفاصيل كاملة حتى لا تضيع ملامحه في التجزئة والتشطير والفروع , فلا باس أن ينطلق الباحث من جملة من المفردات القرآنية لكن حدود بحثه قد تتجاوز الألفاظ إلى المعاني وهنا يبرز قدر ومكانة الثقافة القرآنية للباحث ولا باس في مثل هذا الحال أن يرجع الباحث إلى أهل الاختصاص في الاقتصاد أن كأن بحثه في الاقتصاد الإسلامي وأن يرجع إلى المفتين والقضاة والمحامين وأهل الرأي في قضايا الأسرة والمرأة وهكذا أن لم يكن للباحث تجربة يعتد بها في الموضوع الذي يرغب بالكتابة فيه لعل ذلك يثير في نفسه تساؤلات فيجد لها أجوبة أو يسمع شبهات فيلتمس لها وجه حل .
5. .أن تكون حدود البحث مفتوحة على كامل كتاب الله تعالى إذ أن الاكتفاء بسورة معينة يحجب عناصر مهمة , كما أن بحث الموضوع القرآني خلال سورة واحدة يضع قيودا على البحث تغيب أفاقا تفقد الصورة الكلية بعض بهائها إن لم تكن بلا بهاء أصلا نتيجة لهذا المنهج , وتأكيدا لهذا المعنى يقول أمين الخولي :(إن تفسير القرآن على ترتيب سوره لا يساير حاجات مفسره المتفهم له , بل يقضي ما كان من أمر الترتيب بالنظر الجديد , والترتيب الخاص لآي الموضوع الواحد , بحيث يكشف هذا الترتيب لنا عن تلك النواحي التي عرفت أن المفسر المتفهم مضطر إلى مراعاتها وتقديرها توصلا إلى الفهم الصحيح والمعنى الدقيق .

إن ترتيب القرآن في المصحف قد ترك وحدة الموضوع لم يلتزمها مطلقا , وذلك كله يقضي في وضوح بأن يفسر القرآن موضوعا موضوعا , وان تجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد جمعا إحصائيا مستقصى , ويعرف ترتيبها الزمني , ومناسبتها وملابساتها الحافة بها , ثم ينظر بعد ذلك لتفسر وتفهم , فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى , وأوثق في تحديده)([1])

---

[1]): امين الخولي : التفسير : نشأته ,تدرجه , تطوره :دار الكتاب اللبناني :بيروت :ط/ 1982: 82-83

6. من الأهمية بمكان للباحث أن يتجاوز المعنى المطروح للألفاظ في عصر النزول وبذلك تؤخذ المفردة في ضوء السياق القرآني ليسلم من إشكالية التفسير الموضعي ليصبح موضوعيا .
7. يجب أن يلحظ الباحث في بحثه حقيقة أن الموضوع القرآني يتشكل من ثلاثة عناصر :أ.مفردة أو مفردات ب. معنى قائم ج. موضوع ضابط وحاصر

فالمفردات كما سبقت الإشارة هي المنطلق وخط البداية في البحث ومنها تتبع الحيثيات والفروع كما أن اقتصار البحث فيها فقط هو بحث دلالي في علم الوجوه والنظائر وليس تفسيرا موضوعيا وهذا يفتح الباب أمامنا واسعا لننطلق من ضيق اللفظ إلى رحاب المعنى وهنا يظهر الباحث شخصيته وحضوره واستحضاره لعناصر الموضوع والمعاني التي لا تظهر بالبحث المعجمي , كما أن حدود الموضوع يجب تكون واضحة المعالم فلا يطنب حتى تتداخل الأشياء ويفقد الباحث زمام البحث ويكون قد ادخل في البحث ما ليس منه ولا يقزم البحث فيظهر نتاجه مسخا فاقدا للتواصل , وتكامل العناصر هو مسؤولية الباحث والسياج على ذلك كله اعتماد منهج التأليف في التفسير الموضوعي على هذا المنهج الذي بينته أخيرا لما فيه من السداد والشمول وتجنب ثغرات ما قبله .

8. إطلاق حدود البحث إذ ليس من المقبول –حسب رأي الباحث –أن ينطلق احد الكاتبين في كتابته مع العزم مسبقا بأن يكون بحثه وسيطا وبسيطا من حيث الحجم إذ التدخل في حدود البحث هو في الحقيقة حجب أو تغييب أو اختصار من المؤكد أنه سيفقد البحث تراكيبيته وحميميته وأخذه بحجز بعضه .

وقد ذكر الدكتور عبد الستار سعيد أن البحث في التفسير الموضوعي يمكن تقسيمه حسب حجم البحث وكم المعلومات التي يعرض لها صاحبه إلى مراتب ثلاث :

أ.الوجيز ب. الوسيط ج. البسيط ([1])

وقد سبقني في تعقب هذا الرأي د. زياد الدغامين بقوله : (إن إضفاء شكل معين من البيان على آيات القرآن يعد ضربا من التحكم في مجريات البحث ونتائجه في حين أن البحث العلمي الموضوعي في آيات القرآن ينبغي أن يكتمل , وينبغي لآيات القرآن أن تأخذ مداها في أداء المعنى وتحقيق الهدف والغاية –على قدر جهد الباحث –دون بتر لحقائقها أو موضوعاتها أو مواقفها دون اختزال لمعانيها أو نتائجها .

---

[1]): عبد الستار سعيد : المدخل إلى التفسير الموضوعي :26–27

أن الذي يقرر حجم البحث هو التحصل على موقف قرأني شامل أو حقيقة قرآنية شاملة ولا بد أن نتجنب إشغال القارئ المسلم بكتابات ومؤلفات كثيرة بعضها وجيز لا يشفي غليلا وبعضها وسيط والأخر بسيط مطول , وقد يكون مملا , وربما يفتح الباب لأقسام أخرى)([1])

وفيما يلي سرد لاهم ما وصل اليه الباحث من جهود المعاصرين في التفسير الموضوعي للقرآن ومناهج البحث فيه :

1. البداية في التفسير الموضوعي – لعبد الحي الفرماوي .
2. مباحث في التفسير الموضوعي –للدكتور مصطفى مسلم .
3. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني –لاحمد جمال العمري .
4. المدخل إلى التفسير الموضوعي –لعبد الستار فتح الله سعيد .
5. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم –لأحمد السيد الكومي و محمد احمد يوسف
6. دراسات في التفسير الموضوعي –لزاهر عواض الالمعي .
7. التفسير الموضوعي للقرآن بين كفتي الميزان –د. عبد الجليل عبد الرحيم.
8. محاضرات في التفسير الموضوعي –د. عباس عوض الله عباس .
9. التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه –د. زياد خليل الدغامين .
10. دراسات تطبيقية على مناهج البحث في التفسير الموضوعي –د.نايل ابو زيد.
11. المدخل الى التفسير الموضوعي –لمحمد باقر الموحد الابطحي .
12. المدرسة القرآنية–محمد باقر الصدر .
13. التفسير الموضوعي لمصطلحات القرآن–لصلاح عبد الفتاح الخالدي .
14. التفسير الموضوعي :دراسة تاريخية نقدية –محمد محمود بني الدومي .
15. مصادر التفسير الموضوعي –د. احمد رحماني .

المبحث الثالث : منهجية البحث في المصطلح القرآني

إلى وقت ليس ببعيد كان الاعتقاد السائد أن الاهتمام بالمصطلحات يعد من فضول العلم لا من متونه إلا أن الإحساس التراكمي المتنامي بدوره وأثره منحه الصدارة والأولية في التناول في مناهج البحث العلمي الحديث وأصبح المصطلح العام من ثمار ما يمكن وصفه باقتصاد اللغة , وينسجم هذا التوجه مع حقيقة أن التفسير الموضوعي هو ثمرة للتكثيف والتلخيص والتركيز .

---

[1]): د. زياد الدغامين : التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه : 95

وفي التدليل على أهمية علم المصطلح القرآني يمكن الجزم بأن المصطلحات والمفاهيم التي لم تتفق عليها المذاهب الفقهية الإسلامية كثيرة والسبب أن هذه المصطلحات قد تحددت معانيها واتضحت دلالاتها عند أصحاب كل مذهب بعيدا عن النصوص القرآنية القطعية في دلالتها , الأمر الذي يجعل من تحديد المفاهيم والمصطلحات في ضوء الهدي القرآني امرأ في غاية الأهمية والإلحاح , وتزداد الأهمية وتعظم حين يكون الهدف من ذلك التحديد للمصطلحات هو إشاعتها في أذهان المسلمين وغير المسلمين لتكون بذلك منطلقات محسومة في لغة الخطاب والتأليف في سبيل تعظيم المشتركات بين أبناء الأمة على أساس علمي ([1]).

تأسيسا على ما تقدم يمكن القول :-

المصطلح : جذره صلح الدال على المسالمة والاتفاق , ولهذا المعنى دلالة خاصة لمفردته ,إذ بعد اختلاف في الدلالة كأن يتنازع المفردة قبل تمحيص دلالتها العلمية بشكل أوضح على مضمونها ,هذا زيادة على صفات الجلاء والعلمية والوضوح , فهذه الخواص عندما تجتمع في مفردة للدلالة على معنى خاص يتبادر من سماعها في سياقها التداولي تغدو مصطلحا , حيث أن التكرار والاستمرار في التاريخ والاستخدام هو الذي يكسب المفردة اصطلاحيتها وثبات دلالتها الجديدة الخاصة ([2])

وبالنظر إلى الخلط الحاصل بين المفهوم والمصطلح من حيث التعريف والاستعمال يجدر التمييز بينهما , إذ نرى أن المفردة التي تسمى مفهوما يمكن أن تشاركها مفردة أخرى في التعبير عن المعنى نفسه , فيما تنفرد المفردة التي تسمى مصطلحا بالدلالة على المعنى وتنبذ الترادف , فمن المفاهيم مثلا : الحضارة , الثقافة , السياسة وهكذا نجد أن المصطلح لا يحتمل تشتتا أو انفتاحا في تعريفه , وكل لفظ فيه ,له دلالته بالرغم من إمكانية تعدد صيغ التعريفات للمصطلح لكنها تشترك جميعها في حصرية دلالتها .

وتوظيفا لما تقدم يمكن القول أن المفهوم يمكن أن يتطور تاريخيا ليصبح مصطلحا كلما ضاقت دلالته وكذا العكس اذ يمكن أن يتحول المصطلح إلى مفهوم إذا توسعت دلالته , فالمصطلح بالوصف العام : حاصل جمع مضمون ذو دلالة وقالب لفظي متفق عليهما , والمصطلح الإسلامي العام وهو ما جرت العادة على تسميته بالمصطلح الشرعي تشكل من ثمرة جهود المفسرين وعلماء اللغة الذين لاحظوا ورود كلمات في القرآن الكريم بمعان غير المعاني التي

---

[1]): ينظر :المصدر السابق : 72

[2]): ينظر : د. إبراهيم السامرائي : المصطلح الإسلامي :: 8

وردت فيها في الشعر الجاهلي وفي استعمال العرب قبل نزول القرآن , فأرادوا أن يميزوا بين المعنى العربي والمعنى الإسلامي , فقالوا هذا اسم لغوي وهذا اسم شرعي (1)

وقد تنبه احمد بن فارس لهذا فقال : (كانت العرب في جاهليتهم على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم , فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت , فعفى الآخر الأول)(2)

ثم يمثل بكتابه للآثار التي طرأت على ألفاظ استعملها القرآن وغدت مصطلحات بدلالات جديدة كالصلاة والحج والزكاة .

وقد تحدث أبو هلال العسكري عن هذا الموضوع عند قوله : (وقد حدثت في الإسلام معاني وسميت بأسماء كانت في الجاهلية لمعان أخر فأول ذلك القرآن والسورة والآية والتيمم ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ سورة المائدة : الآية :6 , أي تحروه ثم كثر ذلك حتى سمي التمسح تيمما , والفسق هو الخروج عن طاعة الله تعالى , وإنما كان ذلك في الرطبة إذا خرجت من قشرتها والفأرة إذا خرجت من جحرها , وسمي الإيمان مع إصرار الكفر نفاقا والسجود لله إيمانا وللوثن كفرا , ولم يعرف أهل الجاهلية من ذلك شيئا) (3)

وبعد هذا التقديم عن نشأة المصطلح الإسلامي عموما والقرآني بوجه خاص يبرز هنا سؤال ملح: كيف يمكن عد كلمة ما داخلة في حيز الاصطلاح ؟

وبشكل عملي فإن قراءة القرآن واستخراج الكلمات التي يظن أنها من الكلمات الاصطلاحية ثم عرض هذه الكلمات على متون الحديث والفقه الإسلامي وكتب التفسير المتنوعة وملاحظة انحصار دلالة اللفظة الواحدة على معنى واحد رئيس.

وخلال النظر في القرآن تبرز عدد من المصطلحات القرآنية التي تفرض نفسها لأن لها مفهوما محددا نسميه المصطلح وشائعا في الوقت نفسه ومثال ذلك :العبادة , التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والجنة والنار والجهاد (4)

---

[1]): المصدر السابق : 8

[2]): احمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها :تحقيق احمد حسن بسج :دار الكتب العلمية : بيروت : لبنان : ط1: 1997م : 44

[3]): أبو هلال العسكري : الأوائل :مطبعة دار الأمل : طنجة :ط1: 1966م : 35-36

[4]): إبراهيم السامرائي في المصطلح الإسلامي : 12

ولا شك أن تكرار إفادة السياق بذات المعنى الواحد يؤكد فرضية كون هذه المفردة أو تلك قد غدت مصطلحا قرآنيا .

وهناك كلمات أخرى كأن من الصعب عدها مصطلحات قرآنية بحتة لأنها تحمل دلالات إسلامية عامة لا يمكن حصرها في بوتقة خاصة مثل : الخير والشر والمصيبة والزنا والعدل والضيق والفرج فهذه كلمات عامة الدلالة يستوي في فهمها كل الناس مسلمين وغير مسلمين , فإذا أطلقت هذه الألفاظ فإنها لا تكون معنى محددا يمكن عدها معه معنى إسلاميا أو مصطلحا قرآنيا (1)

وللوصول للدلالة الخاصة لها في القرآن يتوجب الرجوع إليها في سياقها أو سياقاتها المختلفة للخلوص إلى اصطلاحيتها القرآنية , وعند الحاجة إلى تمييز وتخصيص مصطلح ما فإننا نحتاج إلى إضافته فنقول : الخير القرآني , الدعاء القرآني , وهكذا .

ويبين الدكتور صالح عضيمة وجوه فرادة المفردة القرآنية التي غدت مصطلحا قرآنيا بقوله : (إن المصطلح القرآني ليس إلا مفردة من مفردات القرآن المجيد يشارك مثلها في تركيب الآية وفي توجيه السياق الذي تمضي فيه الآية لكنه يختلف عنها أو قل يتميز عنها بقوة موقعه من الآية وبالدور الكبير الفعال الذي يقوم به في الإيحاء والإبلاغ وهاتان ميزتان للمصطلح القرآني لا تكتمل الواحدة منهما إلا بصاحبتها ولا توجد إلا إذا وجدت الأخرى بجانبها , ونعني بقولنا قوة الموقع ذلك المكان الحصين الذي يحتله المصطلح بين المفردات الأخرى , ومثله منها مثل نقطة المركز من الدائرة) (2)

وعليه فإن المصطلح القرآني هو المفردة التي تمسك بالحركة الرئيسة في الآية وهو منبع القوة والإشعاع الذي يوزع الإيحاء ويبث المعنى وبدون فهمها على وجهه الصحيح الدقيق لا يتمكن الدارس ولا الباحث أن ينفذ إلى أسرار القرآن .

وقد صار لابد من النداء على الأدلة وعلى الأمثلة للاستئناس بها وللاطمئنان على فهم ما تقدم من شرح وتوضيح : فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ سورة البقرة : الآية : 269 ,نرى أن الحكمة هي المفردة القرآنية التي تمسك بعنان المعنى فيها , ومن ذلك

---

[1]): المصدر نفسه :13

[2]): د. صالح عضيمة : مصطلحات قرآنية :دار النصر : بيروت : لبنان :ط 1 :1994م :من منشورات الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية : 7

أيضا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ سورة الأحزاب :الآية 72 ,فقوله الأمانة هي قلب الآية وهي بابها ومفتاحها ولا سبيل إلى فهمم الآية إلا بفهمها والإحاطة بها .

فمن المفسرين من ذهب إلى أنها التوحيد ومنهم من قال أنها العقل وبعضهم الأخر رأى أنها الاختيار وبعضهم قال أنها الصورة البشرية التي صار الإنسان بها خليفة الله في الأرض , ونرى أنه لا يستطيع مفسر من المفسرين الحسم والقول أنها تعنى على درجة القطع هذا المعنى دون غيره , بل جل ما يفعله هو اختيار احدها وترجيحه لعلة تقوم في تفكيره وتدبره

ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ سورة يونس : الآية : 6 ,

فالمفردة (لآيات) تحتل صدر الآية وتمسك بها من جميع أطرافها ولا تسمح لأحد بالولوج إلى معنى الآية إلا بإذنها وبعد أن يكون العقل قد ذاق شمة من جملها ووقف مع سر من إسرارها ([1]).

ختاما أقول أن ما يحاوله الباحث في بحثه هذا هو العناية بالجانب المنهجي لتفسير الموضوع القرآني وفي التعامل أيضا مع المصطلح القرآني , وذلك من خلال تتبع المناهج الموجودة ونقدها والتأصيل لما يراه الباحث أكثر جدوى وأينع ثمرا في الوصول إلى مراد الله تعالى , مع الإفادة العالية والمقدرة لجهود علـماء الأمة والباحثين من أبنائها –كثرهم الله تعالى –, فإن أحسن في مسعاي فذلك من فضل الله تعالى عليَ ومنه وان كانت الأخرى فعذري أني بذلت الجهد واستغفر الله من الخطأ والزلل, وأعوذ بالله من أن أضل أو أُضل .

والله تعالى اسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم , وان يجعله مما ينفع ويرفع , انه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير , وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

[1]): د. صالح عضيمة : مصطلحات قرآنية : 8-9